

الامامة والسياسة

[67] للبلاء ، وحملك على المعصية ، أعظم إليك ذنبا من قتلة عثمان وما غضبت حتى أغضبت ، وما هجت حتى هيجت ، فاتقى الله ، وارجعي إلى بيتك . فأجابه طلحة والزبير : إنك سرت مسيرا له ما بعده ، ولست راجعا وفي نفسك منه حاجة ، فامض لامرك ، أما أنت فلست راضيا دون دخولنا في طاعتك ، ولسنا بداخلين فيها أبدا ، فاقض ما أنت قاض . وكتبت عائشة : جل الامر عن العتاب ، والسلام . قال : ورجعت رسل علي من البصرة . فمنهم من أجابه وأتاه ، ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير ، وبعث الاحنف بن قيس إلى علي : إن شئت أتيتك في مائتي رجل من أهل بيتي ، وإن شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف ، فأرسل إليه علي : بل كف عنى أربعة آلاف سيف ، وكفى بذلك ناصرا . فجمع الاحنف بني تميم ، فقال . يا معشر بني تميم ، إن ظهر أهل البصرة فهم إخوانكم وإن ظهر علي فلن يهيجكم ، وكنتم قد سلمتم . فكف بنو تميم ، ولم يخرجوا إلى أحد الفريقين . قال : ولما كتب علي إلى طلحة والزبير أتى زمعة بن الاسود إلى طلحة والزبير . فقال لهما : إن عليا قد أكثر إليكما الرسل ، كأنه طمع فيكما ، وأطمعتماه في أنفسكما ، فاتقيا الله إن كنتما بايعتماه طائعين ، واتقيا الله علينا وعلى أنفسكما ، فإن اللبن في الضرع ، ومتى يحلب لا يرجع ، وإن كنتما بايعتماه مكرهين فاخرقا هذا الوط (1) ، وادفعا هذا اللبن ، فما أغنانا عن هذه الكتب والرسل . قال : فخرج طلحة والزبير وعائشة ، وهي على جمل عليه هودج ، قد ضرب عليه صفائح الحديد ، فبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن أفنية البصرة ، فلما تواقفوا للقتال ، أمر على مناديا ينادى من أصحابه لا يرمين أحد منهما ولا حجرا ، ولا يطعن برمح حتى أعذر إلى القوم ، فاتخذ عليهم الحجة . قال : فكلم على طلحة والزبير قبل القتال ، فقال لهما : استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله على أربع خصال أن تصدق فيها : هل تعلم رجلا من قريش أولى مني بالله ورسوله ، وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي ، وعلى براءتي من دم عثمان ، وعلى أنني لم أستكره أحدا على أنني لم أكن أحسن قولا في عثمان منكما . فأجابه طلحة جوابا غليظا ، ورق له الزبير ، ثم رجع على إلى أصحابه فقالوا : يا أمير المؤمنين ، بم كلمت

(1) الوط سقاء اللبن ، وهو القرية . (*)